البعد الأدبي والفكري للثورة العرابيّة في مصر تجربة الاستعمار الإنكليزي نموذجًا

أحمد محمّد رشاد سيد[1]

تمهيد

تُستعاد أحداث التاريخ غالبًا بشكل غير مباشر من خلال وسيط؛ وهو المصدر، وأي حدث تاريخي ليس له مصدر يسقط من حساب التاريخ. يبقى الأمر كذلك إلى أن نحصل على المصدر والشواهد التي تمكّننا من إخضاعه للدراسة والنقد والتمحيص. وتنقسم المصادر بدورها إلى مصادر تقليديّة ومصادر غير تقليديّة؛ فالمصادر التقليديّة تتمثّل في: الوثائق والآثار والمخطوطات والنقود والرنوك والدوريات وكتابات المؤرّخين المعاصرين للأحداث وغيرها...، فهي من المصادر التقليديّة لكتابة التاريخ.

أمّا المصادر غير التقليديّة، فتتمثّل في: التاريخ الشفاهي والأدب ممثّلاً في: الروايات والأشعار والأزجال والنكت والفلكولور والأدب الشعبي والأدب العام والأمثال والمسرح والسينما والدراما والصور ومواقع التواصل الاجتماعي حديثًا؛ فجميعهم من المصادر غير التقليدية لدراسة التاريخ.

وهذه الورقة محاولة لاستعادة حدث تاريخي مهم؛ وهو الثورة العرابيّة، اعتمادًا على أحد المصادر غير التقليدية لكتابة التاريخ؛ وهو الأدب بصفة عامّة، والشعر بصفة خاصّة، حيث تسعى هذه الورقة إلى البحث عن الظروف المحيطة بالمجتمع المصري، والعوامل التي أدّت إلى تفجير الثورة، وأهم الأحداث والمواقف التي صاحبت حدوثها، ونتائجها.

---

١. مدرّس مساعد التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ - كلية الآداب، جامعة بني سويف.

علاوة على نظرة الأدب لمواقف من شاركوا في صنع هذه الثورة، وهل ثبتت مواقفهم بعد الثورة أم تغيّرت؟ من خلال كتابات الشعراء المعاصرين للأحداث؛ وعلى رأسهم محمود سامي البارودي «ربّ السيف والقلم»، وغيره من الشعراء المعاصرين للأحداث أمثال: أحمد شوقي، وكتابات الخطباء وعلى رأسهم: محمّد عبده وعبد الله النديم.

الكلمات المفتاحية: ثورة أحمد عرابي، التاريخ الشفاهي، الأدب، الاستعمار، محمّد عبده، عبد الله النديم، أحمد شوقي.

مقدّمة

واقع الأمر أنّ الثورة لا تُسقط الواقع، بل تُسقط سيطرة السلطة على الواقع الذي يقوم على فكرة الديكتاتورية الإقصائية، وأهم أدواتها النفي والعنصرية والتجريد والاختزال؛ فالشعوب لا تثور على قيمها الخالدة، وتقاليدها الأخلاقية والثقافيّة والتاريخيّة؛ بل تثور ضد سوء استغلال السلطة للواقع، حفاظًا على هويّتها، ومقاومة الاستغال الفاسد لمصادرها[١].

وتتجسّد تلك المعاني بوضوح في الثورة العرابيّة؛ حيث شهدت الأوضاع الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة في مصر منذ عهد محمّد علي حتى أواخر عهد إسماعيل سلسلة من القهر الاجتماعي؛ سواء من السلطة الحاكمة، أو من العناصر الحاكمة في الريف؛ مما جعل الفلاّحين يشاركون بقوّة في الثورة[٢].

ولم تكن الثورة العرابيّة ثورة ضدّ نظام الحكم القائم آنذاك فحسب؛ بل كانت ثورة وطنيّة ضد العناصر الأجنبيّة المتميّزة، والتي مكّنت لها الأسرة المالكة آنذاك، وأوسعت لها في العطاء والأملاك والمناصب، وكانت تنظر للمصريين باحتقار، وتنعتهم بالفلاّحين؛ فهي من أولى الثورات الدستوريّة في العالم العربي[٣].

---

١. تعيلب، أيمن، أسئلة الثورات العربيّة، ص٢٣.

٢. شلبي، علي، دور القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابيّة، ص١٣٢.

٣. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، الثورة العرابيّة، ص٦.

وكانت لهذه الثورة إرهاصات في السنوات السابقة عليها؛ حيث تشكّلت المعارضة الوطنيّة نتيجة تدفّق تيّار التدخّل الأجنبي، والتناقض بين سلطة الخديوي إسماعيل ورأس المال الأجنبي، وبين القوى الاجتماعيّة التي أُضيرت من جرّاء السيطرة المالية الأوروبيّة والاستثمارات الأجنبيّة، ومثّلت تلك المعارضة الوطنيّة البداية الحقيقيّة للثورة العرابيّة[١].

وترجع إرهاصات المعارضة الوطنيّة لعهد الخديوي إسماعيل، الذي أرسل بعثات للخارج اطّلعت على نمط الحضارة الأوروبية ونُظُمها السياسيّة، فعادوا إلى وطنهم وهم يحملون آمال تكوين نظام سياسي مصري مشابه لما رأوه في البلاد الأوروبيّة، تكون فيه السلطة التنفيذيّة مسؤولة بشكل مباشر أمام مجلس نيابي منتخب من الشعب، ويعبّر عن مصالحه.

هذا بجانب النهضة الثقافيّة والتعليميّة التي أنشأها إسماعيل في مصر، وخاصّة مدرسة الحقوق التي كان لها الفضل في تخريج جيل وطني قاد الحركة الوطنيّة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، خلاف القوى الوطنيّة التي أضيرت من جراء السياسات المالية لإسماعيل والتدخّل الأجنبي السافر الذي أدّى إلى خلع إسماعيل من الحكم، ثمّ نظام الحكم المستبدّ للخديوي توفيق ورياض باشا رئيس الوزراء آنذاك.

وفيما يخصّ التحريض على اندلاع الثورة، فقد شهدت فترة السبعينات من القرن التاسع عشر مقدّمات مباشرة أدّت لاندلاع تلك الثورة، يأتي في مقدّمتها سياسة الخديوي إسماعيل، والذي سعى لتحقيق الثراء على حساب خزانة الدولة، مع رغبته في الحصول على الاستقلال السياسي لمصر، لكن في وقت لم تتوازن فيه طموحاته السياسيّة مع خزانة الحكومة المصريّة.

وكانت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في عصر إسماعيل تبلغ حوالي ٥,٠٠٠,٠٠٠ فدان، ومن تلك المساحة امتلك الخديوي وعائلته مليون فدان، أي خمس الأراضي الصالحة للزراعة، والعشر أو ٥٠٠,٠٠٠ فدان امتلكها شريف باشا ونوبار باشا وكبار الملاك من الباشوات والأعيان، بينما سبعة أعشار تلك المساحة امتلكها باقي الفلّاحين أجمعين[٢].

---

١. عباس، رؤوف، المعارضة الوطنيّة وإرهاصات الثورة، ص٤٦.

٢. رمضان، صالح، الحياة الاجتماعيّة في مصر في عصر إسماعيل من (١٨٦٣-١٨٧٩م)، ص١٧٠.

وقد ذكر محمود سامي البارودي الحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة في مصر خلال كتاباته وأشعاره، واتُّهم الخديوي إسماعيل بالجشع والطمع والسعي إلى تكوين الثروات، فكانت سياسته المالية سببًا في دخول البلاد في منحدَر سياسي خطير، وقبيل التدخل الأجنبي الفجّ بسبب هذه الأزمة المالية نجد البارودي في كتاباته يحثّ المصريين على الثورة، وإزاحة إسماعيل عن الحكم، فكانت كتاباته منذرة بحدوث الثورة، ومنها قصيدته المشهورة «دعوة للثورة على الظلم» والتي جاء فيها[١]:

يـودّ الفتي أن يجمع الأرض كلّها ... إليـه ولمّـا يـدرِ مـا اللـه صانـع
فقد يستحيل المـال حتفًا لربه ... وتـأتي عـلى أعقابهـن المطامـع
ألا إنمّـا الأيـام تـجري بحكمها ... فيحـرم ذو كـدّ ويـرزق وادع
فـلا تـقـعـدنّ لـلـدهـر تـنـظـر غبّه ... عـلى حـسرة فاللـه معـطٍ ومانـع
فلو أن ما يعطي الفتى قـدر نفسه ... لمـا بـات رئبال الـشرى وهـو جائع
فيا قـوم هـبّـوا إنمّـا العمر فرصة ... وفي الدهـر طـرق جـمًا ومنافـع
أصـبراً عـلى مـسّ الـهـوان وأنـتـم ... عديـد الحـصى إنّـا إلى اللـه راجـع
وكـيـف تـرون الـذلّ دار إقـامـة ... وذلـك فضل الله في الأرض واسـع
أرى أرؤسًـا قد أينعت لحصادها ... فأيـن ولا أيـن السـيوف القواطـع
فكونوا حصيدًا خامدين أو أفزعوا ... إلى الحرب حتـى يُدفع الضيم دافع
أهـبّـت فـعـاد الـصـوت لم يقضِ ... حاجـةً إلي ولباني الصدى وهو طائع
ولم أدر أن الـلـه صـوّر قبلكم ... تماثيـل لم يخلـق لهـن مسـامع

وفي الأبيات السابقة يدعو البارودي المصريين صراحة للثورة على الخديوي إسماعيل وعدم الرضى بالذلّ والخضوع والاستسلام مواجهة لجشعه وطمعه ورغبته في الثراء الزائد، ويدعوهم إلى عدم الرضى بالذل والهوان؛ وخاصة أنّ عددهم كثير وليس قليلاً؛ حيث بلغ عددهم في عام ١٨٧٧م حوالي ٥,٦٠٢,٦٢٧ نسمة مصريين وأجانب؛ منهم

١. البارودي، محمود سامي، ديوان محمود سامي البارودي، ص١٧٣-١٧٥.

٨٥ ألف أجنبي، والباقي مصريين[١]. وفي عام ١٨٨٢م العام الذي اندلعت فيه الثورة العرابيّة وصل عددهم ٦,٨٠٦,٣٨١ نسمة[٢].

وذهب البارودي إلى أنه عن طريق الثورة يمكن للمصريين تحقيق آمالهم وطموحاتهم، ولمّا لم يلبِّ المصريون نداءه بالثورة اتّهمهم بأنهم مثل التماثيل التي لا تحرّك ساكنًا. هذا وقد رأى البارودي بعينيه آثار تلك الدعوات عندما أصبح الفلّاحون في طليعة المشاركين في الثورة العرابيّة.

ولم تكن شهادة البارودي على إسماعيل وعصره فقط، من خلال كونه أحد مواطني هذا العصر فحسب؛ بل امتدّت لأكثر من ذلك؛ لأنه كان من خواص إسماعيل، وصاحَبَه ثماني سنوات عرف خلالها حياة الترف والبذخ والقصور بصورة جارفة أدّت به في نهاية الأمر إلى أن ينقلب على أربابها[٣].

لذلك دعوته للثورة على إسماعيل وضرورة خلعه من الحكم؛ ناتجة عن تجربة حسّيّة عاينها بنفسه.

وكان أوّل ردّ فعل حقيقي إزاء الوزارة الأوروبيّة المختلطة التي تمّ تأليفها في أغسطس ١٨٧٨م ثورة قام بها مجموعة من الضبّاط قيل إن إسماعيل هو من أوعز إليهم بذلك؛ فأطاحوا بوزارة نوبار باشا، وتمّ تأليف وزارة برئاسة ولي العهد محمّد توفيق في مارس ١٨٧٩م في محاولة لامتصاص الغضب وتهدئة الرأي العام[٤].

وأنشد محمود سامي البارودي يوم رئاسة توفيق لمجلس النظار قائلاً[٥]:

بك استقامت مصر حتّى غدت يحمدها الوارد والصادر
وكيف لا تبصر قصد الهدى حكومة أنت لها ناظر

---

١. دار الوثائق القومية: محافظ الوقائع المصريّة، محفظة ٣، تحقيق شخصية، ص٤١.

٢. نظارة الداخلية: الكشاف للديار المصريّة وعدد نفوسها، الجزء الثاني من مؤلّف التعداد العمومي لأهالي القطر المصري، ص ظ.

٣. عاشور، نعمان، بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي (١٧٥٠-١٩٦١م)، ص١٢٨.

٤. فتحي، عاطف، حكاية محمود سامي البارودي شاعر الثورة العرابيّة، ص٣٥.

٥. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص١٣٥.

وفي إبريل من عام ١٨٧٩م تكوّنت جمعيّة سرّيّة أُطلق عليها جمعيّة حلوان بهدف الحدّ من سيطرة الأجانب ونفوذهم في الحكومة، وقد ضمّت شريف باشا وإسماعيل راغب ومحمّد سلطان وغيرهم[١]. لكن في ٢٦ يونية ١٨٧٩م تمّ خلع إسماعيل عن الحكم بأمر من السلطان العثماني وتولية ابنه توفيق بتحريض من إنجلترا وفرنسا؛ لهذا أصبح من المسلم به أن يخضع الحاكم الجديد لنفوذ الدولتين[٢].

ولما جلس توفيق على العرش مدحه البارودي قائلاً[٣]:

بلغت بفضل محمّد ما أملت — من عيشة رغد وجد أسعد
هو ذلك الملك الذي أوصافه — في الشعر حلية راجز ومقصد
فبنوره في كل جنح نهتدي

وبهديه في كل خطب نفتدي

سنّ المشورة وهي أكرم خطة — يجري عليها كل راع مرشد
هي عصمة الدين التي أوحي بها — ربّ العباد إلى النبي محمّد
فمن استعان بها تأيّد ملكه — ومن استهان بأمرها لم يرشد
أمران ما اجتمعا لقائد أمّة — إلّا جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينهم — شورى وجند للعدو بمرصد
هيهات يحيا الملك دون مشورة — ويعزّ ركن المجد ما لم يعمّد
فالسيف لا يمضي بدون روية — والرأي لا يمضي بغير مهنّد
فاعكف على الشورى تجد في طيّها — من بينات الحكم ما لم يوجد

وبخلاف تهنئة توفيق بجلوسه على العرش، واستبشار البارودي به خيراً حينها، فقد ذكّره بوعده الذي قطعه على نفسه سالفًا بإنشاء مجلس نيابي، وذكّره بأن هذا الأمر ضروري

---

١. الجميعي، عبد المنعم، وقائع الثورة العرابيّة دراسة وثائقية بحث منشور ضمن كتاب مئة عام على الثورة العرابيّة، ص٧٥.

٢. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، مصر والمسألة المصريّة (١٨٧٦-١٨٨٢م)، ص١٠٧.

٣. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص٨٠.

لبقاء ملكه وسطوع مجده؛ فبالقوّة العسكريّة، وبالمجلس النيابي الذي يتمّ تحقيق مبدأ الشورى به يستمرّ السلطان، وبهذا كان البارودي يعبرّ عن آمال وطموحات قطاع عريض من المصريّين.

ولكن توفيق تنكّر لوعوده، ورفض فكرة الحكم النيابي، وأوعز إلى شريف باشا بتقديم استقالته من الوزارة التي عقد عليها المصريون آمالاً كبيرة في تطبيق الحكم النيابي الدستوري، وقام بتشتيت القوى الوطنيّة، وقبض على جمال الدين الأفغاني زعيم الحزب الوطني الحر في أغسطس ١٨٧٩م وطرده خارج البلاد، وشرّد أنصاره ومريديه، وحدّد إقامتهم في بلادهم وقراهم بعيدًا عن العاصمة، ومُنعوا من الحديث في السياسة، وأسند الوزارة إلى رياض باشا أحد أنصار الحكم المطلق وخير معين للنفوذ الأوروبي[١].

فكان من الطبيعي أن يدخل البارودي في صدام مع وزارة رياض باشا، وينتقدها صراحةً، وممّا قال في هجائها[٢]:

وما الحبّ إلّا حاكم غير عادل ... إذا رام أمرًا لم يجد من يصده
له من لفيف الغيد جيش ملاحة ... تغير على مثوى الضمائر جنده
ذوابله قاماته وسيوفه ... لحاظ العذارى والقلائد سرده
ظلوم له في كل حي جريرة ... يضج لها غور الفضاء ونجده
فإن كنت ذا لبّ فلا تقربنّه ... فغير بعيد أن يصيبك حده
وقد كنت أولى بالنصيحة لو صغا ... فؤادي ولكن خالف الحزم قصده
أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه ... ويملك أعناق المطالب وغده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت ... عليه لا يأسف إذا ضاع مجده
من العار أن يرضى الفتى بمذلّة ... وفي السيف ما يكفي لأمر يعدّه
فإما حياة مثل ما تشتهي العلا ... وإمّا ردى يشفي من الدماء وفده

---

١. حكاية محمود سامي البارودي شاعر الثورة العرابيّة، م. س، ص٣٦-٣٧.

٢. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص٨١-٨٣.

وفي الأبيات السابقة ينتقد البارودي حكومة رياض، ويمتهنها لمخالفتها للمطالب التي سعى إليها المصريّون، واستبشروا بها بداية حكم توفيق، ويلوم نفسه لانخداعه بتوفيق؛ حيث ظنّ به خيرًا بادئ الأمر، ولكن مع تعيينه لرياض باشا، وسياسة القمع التي صار عليها، ورفضه لمطالب جموع الوطنيّين؛ دعا الناس مرة أخرى لرفض الذلّ والعار والخزي، وفضّل لهم حياة المجد والعلا بدلاً من الذلّ والعار، وآثر لهم موتًا فيه كرامة، عوضًا عن حياة فيها الخزي والعار والذلّ.

وكان رياض باشا خير أداة للدول الدائنة، فلم يقاوم التدخّل الأجنبي، وفي عهده تمّ إقرار مشروع المراقبة الثنائيّة التي أدّت إلى بيع أسهم مصر في قناة السويس لاتّحاد الماليين في باريس وفاءً للدين، وإلغاء قانون المقابلة، وصدور قانون التصفية؛ كل ذلك كان من العوامل التي فجّرت الثورة العرابيّة[١].

ولمّا كان الجيش هو صاحب السلاح؛ وجد فيه المصريّون القوّة التي تحقّق لهم أمانيّهم، وقُدّر لمصر أن يتولّى زعامتها عسكريّون في تلك الأونة، وخاصّة الذين لا ينتمون إلى شريحة عليا، فقد عاشوا حياة المعاناة التي يعيشها عامة المصريّين، بالإضافة إلى معاناة أخرى متمثّلة فيما يلاقونه على يد عثمان رفقي الجركسي ناظر الحربية آنذاك، والذي جامل الأتراك على حساب المصريّين، وإن كان البارودي جركسي النزعة؛ إلّا أن ذلك لم يؤثّر على انتمائه وشعوره بالمعاناة التي يعانيها المصريّون[٢].

لذلك نجده ينتقد عثمان رفقي وزير الحربيّة بلا هواده، ويهجوه في الشعر، وممّا قاله فيه ما يلي[٣]:

إنَّ ملكًا فيه فلان وزيرًا لمباح للخائنين وبل
أهوج أحمق شتيم لئيم أغتم أبله زنيم عتلّ

---

١. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابيّة والاحتلال الإنجليزي، ص٥٠-٦٠.

٢. سالم، لطيفة، في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، ص١٤٦-١٤٧.

٣. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص٢٢٩-٢٣٠.

صغرت رأسه وأفرط في الطول ... شواه وعنقه فهو صعل
أبرزت قدرة الطبيعة منه ... شكل لؤم إن كان للؤم شكل
هدف للعيوب في كل عضو ... منه سهم للطاعنين ونصل
نسلته من استها أم سوء ... ما لها غير طائف الليل بعل
نازعتك اليهود واختلفت فيك ... النصارى فأنت لا شك بغل
كل وغد أهدى إلى اللؤم من ... باز ولكن من الحمار أضل
قد تغذّى باللؤم إذ هو طفل ... وتمادى في الغي إذ هو كهل
كنت لا أحسن الهجاء ولكن ... علّمتني صفاتهم كيف أتلو
كل شيء يفنى ولكن هجائي ... فيك باق ما عاقب السيف صقل

وتوحي الأبيات بحجم الكره الذي حمله العسكريّون لعثمان رفقي الشركسي ناظر الحربيّة وبني جنسه من الأتراك؛ إذ كان لسياسته العامل الأكبر في إثارة حفيظة العسكريّين، وخاصّة قانون الترقية، والذي قصر الترقية على خريجي المدرسة الحربيّة، وأغلق الباب أمام كثير من الضبّاط المصريّين للحصول على الترقية التي ينشدونها[١].

وعندما علم الضباط بصدور هذا القانون الصادر في ٣١ يولية ١٨٨٠م ثارت ثائرتهم، لأنّ هذا القانون يمنع ترقية الجنود إلى ضباط، ويستهدف الضبّاط المصريين، فكان من العوامل الرئيسية التي أدّت إلى حركة الضباط بعد اجتماعهم في بيت أحمد عرابي في ١٦ يناير ١٨٨١م[٢].

وبالتالي كانت كتابات البارودي وأشعاره من أهمّ العوامل التي دفعت المصريّين عامّة والعسكريّين خاصّة للثورة أوائل حكم توفيق؛ حيث طالب المصريّين مرارًا بالثورة على نظام الحكم القائم آنذاك ليعيشوا الحياة التي يأملونها لأنفسهم ولأبنائهم، فكان لكتاباته صدًى جُنيت ثماره من خلال حركة العسكريين مطلع عام ١٨٨١م، وانضمّ لها جموع المصريّين، وصاروا في ركابها لتحقيق آمالهم وطموحاتهم؛ فبدأت حركة الضباط لتحقيق

١. وقائع الثورة العرابيّة دراسة وثائقية، م. س، ص٧٧.

٢. بركات، علي، تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسيّة (١٨١٣م-١٩١٤م)، ص٣٥٠.

مطالب عسكريّة في بادئ الأمر، ثمّ أصبحت لسان حال الأمّة بأسرها في مطالب سبتمبر ١٨٨١م.

ولم تكن كتابات البارودي وحدها هي المحرّك والدافع للثورة في بدايات حكم توفيق؛ بل كان للشيخ محمّد عبده وعبد الله النديم وغيره من الصحفيّين دور في إثارة الحماسة لدى المصريّين من خلال خطبهم أمام العامّة، أو من خلال كتاباتهم على صفحات الجرائد والمجلّات.

الشيخ محمّد عبده

الظروف التي أحاطت بالشيخ محمّد عبده وتلمذته على يد الشيخ جمال الدين الأفغاني، والأحداث التي عاينها وعايشها؛ كانت جميعها من القوّة الدافعة بحيث تخلق منه شخصيّة ثوريّة ذات أثر وفاعليّة لا حدود لها، إلّا أنّه في نهاية الأمر ظهر بمظهر التطوّر العام لعصره، واختلفت مواقفه السياسيّة قبل الثورة العرابيّة، وبعد عودته من المنفى خارج مصر، فكان أكثر اعتداليّة ومهادنة للاحتلال[١]. بعكس طبيعته الثوريّة التي بدا عليها، وبعد أن كان من المحرّكين بكتاباته ومقالاته وخطبه للأحداث ومشاركًا فيها.

في البداية كانت كتابات محمّد عبده من العوامل التي ألهبت الحماسة الدينيّة والثوريّة في نفوس المصريّين، وكان متأثّرًا بأستاذه جمال الدين الأفغاني وأرائه في الإصلاح، فكان اتّجاهه إسلاميًّا يرى المحافظة على الدولة العثمانيّة قبل كل شيء، ويعتبرها ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، وكان يمقت الأجانب ويسيئ الظنّ بهم ويعتبرهم شياطين، ورأى أنّ الأجانب من فرنسا وإنجلترا وألمانيا وأمريكا أنشأوا مدارس في البلدان الإسلاميّة ليحاولوا هدم عقائد المسلمين ويستغلّوا أهواءهم نحو البلاد التي يمثّلونها[٢].

وعبرّت كتابات محمّد عبده عن أفكاره واتّجاهاته الإصلاحيّة المتمثّلة في الحرّيّة، والتي رأى أنها ليست مطلقة بل مقيدة بحرّيّة الجميع، وركّز على حرّيّة التفكير والقول

١. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص١٤٢.

٢. وحيده، صبحي، في أصول المسألة المصريّة، ص١٧٥.

والانتخاب، وأكّد على أهمّيّة مبدأ الشورى، والذي اعتبره أحد أهم دعائم الدولة الإسلاميّة، موضحًا أنها ضدّ الاستبداد، وأنّها مرتبطة بالإطار الديمقراطي، وأكّد على الإرادة الشعبيّة العامّة، وأهميّة تطبيق القانون، وأكّد أنّ الحاكم يجب عليه ألّا يستند إلى القوّة الغاشمة؛ بل إلى القانون الذي يعدّ الضامن الأساسي لحرّيّة الأفراد[١].

كانت كتابات محمّد عبده قائمة على تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمّة قبل ظهور الخلاف بالرجوع إلى ينابيعه الأولى، وإصلاح اللّغة العربيّة، ودعا الناس إلى معرفة حقوقها على حاكمها، وبدأ يكتب في هذه الاتّجاهات منذ أول مقالاته في جريدة الأهرام سنة ١٨٧٦م، واستهلّ أوّل مقالاته بتذكير المصريّين بتاريخهم العظيم، ثمّ ذكر ما كانوا عليه من وهن وضعف لإهمالهم اللّغة العربيّة والعلوم المعاصرة[٢].

كما كان محمّد عبده -مع أستاذه جمال الدين الأفغاني- من الدعائم الأساسيّة لتكوين الجبهة الوطنيّة التي أطلقت على نفسها اسم الحزب الوطني الحرّ، والتي تشكّلت في عام ١٨٧٩م، وكان لها برنامج إصلاح سياسي، وهذه الجماعة تمخّضت عن محفل الشرق الذي أسسه الأفغاني، وضمّ إليه الشيخ محمّد عبده وأحمد عرابي وعبد الله النديم وتوفيق ابن إسماعيل، وكانت أهم مطالب هذا الحزب قائمة على تنازل إسماعيل عن الحكم لابنه توفيق[٣].

وبالتالي لم تكن مشاركة محمّد عبده مقتصرة على الكتابة في الصحف فقط، بل كان عضوًا في حركة سياسيّة لها مطالب وإصلاحات سياسيّة، ولديها برنامج سياسي واضح للإصلاح، ضمّت هذه الحركة مجموعة من المثقّفين والعسكريّين بجانب رجال الدين.

وعقب تولّي توفيق الحكم تخلّص من السيِّد جمال الدين الأفغاني، لأنّه علم من خلال مصاحبته في محفل الشرق دوره القوي وتأثيره في الأحداث؛ فبادر إلى التخلّص

---

١. عبد الرازق، عبد الله، النظم والنظريات السياسيّة والاقتصاديّة، ص١٢٦-١٢٧.

٢. عبد الرازق، مصطفى، محمّد عبده، ص٧٨-٨٠.

٣. المعارضة الوطنيّة وإرهاصات الثورة، م. س، ص٦٠.

منه وقام بنفيه خارج البلاد، أمّا محمّد عبده فعزله الخديوي من وظائفه، ونفاه إلى بلدته محلة نصر؛ فكان يسافر إلى القاهرة خفية ويلتقي برفقائه في حركة الكفاح، فجعله الخديوي توفيق دون أن يدري أقرب الأزهريين إلى مقاليد القيادة[١].

ثمّ احتلّت الوقائع المصريّة موقعًا على خريطة الثورة؛ إذ اتّخذها محمّد عبده وسيلة للتعبير عن آرائه السياسيّة والإصلاحيّة قبيل اندلاع الثورة العرابيّة؛ حيث كتب في ضرورة تحرير الفكر، ورفع الظلم عن المحكومين وتطبيق العدالة، وتميّزت أراؤه بالاعتدال في البداية من خلال المطالبة بإصلاح المجتمع عن طريق الاهتمام بالتربية والتعليم، لكن مع إحساسه بعمق الثورة انضم إليها متحدّثًا عن الوحدة الوطنيّة التي يمكنها الانتصار على الأعداء، وتطرّق إلى أهميّة الحكم الدستوري[٢].

وأفاض محمّد عبده في شرح أفكاره في جريدة العروة الوثقى، وبين حرّيّة الرأي والتعبير والانتخاب، والتأكيد على أهميّة القانون الذي يجب أن ترجع إليه الأمّة جميعها، وبين مساوئ حكم القوّة التي أدّت إلى سفك الدماء وذلّت الشعوب وأنهكت حرمات الأمم، وسجنت حرّيّات الإنسان في الرقّ والاستبداد، وأكّد على مفهوم القوميّة التي لا تفرق بين دين وآخر، وأبعاد القومية اللّغة والأرض والكيان السياسي والعادات والتقاليد أو الدين، وأنّ العامل الأساسي في تحفيز القوميّة هو الإرادة الحيّة للإنسان[٣]. وأكّد على أهميّة الشورى التي تعد واجبًا شرعيًّا، وكيفيّة إجرائها غير محصورة في طريق معين بالنسبة للحكّام، ومناصحة أولي الأمر واجبة بأيّ طريقة توجب العدل والمنفعة للأمّة بأسرها[٤].

وبالتالي كانت كتابات محمّد عبده، وأفكاره في الإصلاح، وخطبه، ومواقفه السياسيّة من العوامل المحرّكة للثورة العرابيّة. ورغم أنّه لم يكن مع حركة العسكريين في البداية؛ إذ رأى أنّ أوّل ما يجب القيام به هو إصلاح التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال

١. الجندي، عبد الحليم، الإمام محمّد عبده، ص٢٥.

٢. في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، م. س، ص٥٠-٥١.

٣. م.ن.

٤. محمّد عبده، م. س، ص١١٣-١١٤.

الحكومة النيابيّة على بصيرة، إذ ليس من الحكمة إعطاء الرعية ما لم تستعد له، لأن ما كانت تطالب به رؤساء الفرق العسكريّة لم تكن الأمّة مستعدة له، وخشي أن يجر الشغب على البلاد احتلالاً أجنبيًّا، وكان يؤمن حينها بفكرة المستبد العادل[١]. إلاّ أن تطوّر الأحداث عقب ذلك جعلته في مقدمة العرابيين، وناله ما نالهم من الجزاء نهاية الأمر.

عبد الله النديم

لم يكن عبد الله النديم فردًا تميّز بمواهبه؛ وإنّما رجلاً تجمّعت فيه طاقات شعب عريق؛ غلب عليه طابع الاستبداد فترة من الزمن، فلمّا آن له أن يطلب الحرّيّة انطلق معبرًّا عنها؛ حيث إن حياته غنيّة بما تتطلّبه حياة شعب يصنع تاريخه ويدافع عن وطنه ويحمي مستقبله ومصيره في مرحلة تاريخيّة مهمّة من أعنف مراحل التاريخ المصري الحديث، مستخدمًا في ذلك الصحافة الوطنيّة والنضال الشعبي[٢].

وكانت أساليبه النضالية قائمة على النقد اللاذع عن طريق الفكاهة، والتي كان لها أثر كبير في النفوس، وقد عمل بالصحافة عقب عمله في مصلحة التلغراف، وأنشأ جريدة التنكيت والتبكيب، وبعدها أنشأ جريدة الأستاذ، ثم جريدة الطائف[٣].

في عام ١٨٧٦م استقرّ بالإسكندريّة في فترة صعود الحركة الوطنيّة، وهناك اتصل بعناصر من جماعة مصر الفتاة وبدأ عبد الله نديم الكتابة بانتظام في عدد من الصحف التي أصدرها أديب إسحاق وسليم نقاش، وفي عام ١٨٧٩م شارك في تأسيس الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة وأصبح مديرًا لمدرستها، كما تولىّ تدريس الإنشاء وعلوم الأدب والخطابة بها وأنشأ فريقًا للمسرح بالمدرسة، وفي الإسكندريّة بشّر بمبادئ حزبه الجديد الذي أسسه «حزب الإصلاح»[٤].

---

١. عبد الملك، أنور، نهضة مصر تكون الفكر والأيديولوجية في نهضة مصر الوطنيّة (١٨٠٥-١٨٩٢م)، ص٤١٢-٤١٥.

٢. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص٨٩.

٣. ملحس، لطفي عثمان، من الأعلام خطيب الثورة العرابيّة ورفيق النضال فيها السيد عبد الله النديم - الخطيب - الأديب - الصحفي الساخر، ص١٠٢.

٤. الشريف، أحمد إبراهيم، عبد الله النديم الثائر المصري الحق.

كما شارك في تحرير جريدتى «مصر»، و«التجارة»، ولم يكتفِ النديم بالنضال الصحفي، ففي عام ١٨٧٩م أقام النديم في الإسكندريّة محفلاً للخطابة راح يستغلّه في نشر دعوته الإصلاحيّة وأفكاره التحريضيّة ضدّ الظلم. تعرّف على محمود سامي البارودي، واشترك في الثورة العرابيّة عام ١٨٨١م وانضمّ لها بقلمه ولسانه، فكان وقودًا لهذه الثورة، حيث كان صوته يجلجل في الآذان، ويوقظ الأسماع بنبرته المعبرّة وأدائه الخطابي البديع. وأصدر عبد الله النديم مجلة «التنكيت والتبكيت» لمؤازرة الثورة العرابيّة، فصدر عددها الأوّل بتاريخ ٦ يوليو ١٨٨١م وعددها الأخير بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٨٨١م[١].

وكانت كتاباته في التنكيت والتبكيت عامرة بالمقالات والطرائف نصفها باللّغة العربيّة الفصحى، والنصف الآخر باللّغة العامية، وظلّت تصدر الجريدة بالإسكندريّة عدّة شهور وإقبال الناس عليها مستمرّ، حتى إذا تطوّرت الثورة العرابيّة نقلها من الإسكندريّة، واختار لها اسم الطائف؛ فكانت اللسان المعبرّ عن العرابيّين، وكانت تنتقد الخديوي بقوّة وجرأة، وتشرح بؤس الفلاّحين في السخرة، وتدعو إلى الإصلاح النيابي والحكم القائم على مبدأ الشورى[٢].

وشنّ النديم هجومًا في مقالاته على الأغنياء ووصفهم بالجشع والطمع، كما أنّه آمن بالشورى وردّدها في مقالاته، وأكّد على أهميّة الانتخابات وضرورة اشتراك جميع المصريّين فيها، وأن يكون الحاكم مصريًّا خالصًا على اعتبار أنّ مصر للمصريّين في وقت لا ينكر فيه عروبة مصر[٣].

وعبرّ النديم في خطبه الثورية عن مختلف المواقف السياسيّة والأوضاع الاجتماعيّة، ومن أهمّ أسباب قوّة تأثيره في الناس أنّه كان يندمج معهم تمامًا، كما كان لديه القدرة على تمثيل مآسي الفقراء التي عايشها بنفسه، وانتقد حكم إسماعيل ثمّ توفيق، وكان هادفًا إلى الإطاحة بعرش توفيق، وفي جريدة الطائف بثّ دعوته إلى الحرب وحثّ الشعب على القتال وتحريض الجنود والاستبسال، فكانت كتاباته في الطائف خير تعبير عمّا يجيش

١. الشريف، أحمد إبراهيم، عبد الله النديم الثائر المصري الحق.٣

٢. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص٩٢-٩٣.

٣. في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، م. س، ص٥٤-٥٥.

بصدور المصريّين من كراهية تجاه الخديوي والأجانب معًا[١].

وعقب أحداث فبراير ١٨٨١م كان عبد الله النديم صاحب فكرة تحويل حركة الضباط إلى حركة شعبيّة عامة عن طريق صياغته للمنشور الذي وافق عليه عرابي؛ والذي بمقتضاه يحق لعرابي المطالبة بحقوق الأمّة نيابة عن الشعب، والتحدّث باسمه فيما يتعلّق بشؤون البلاد[٢].

وبالتالي فكانت كتابات النديم وخطبه ومقالاته من العوامل التي فجّرت الثورة؛ إذ كانت الصحافة من العوامل المحرّكة لمجريات الأمور، وإذا كان محمّد عبده يمثّل التيار المعتدل في الأحداث، فإنّ كتابات عبد الله النديم مثّلت التيّار المتطرّف، الذي لا يرى الإصلاح إلاّ من خلال الثورة والخلاص من النظام الحاكم، ومن التدخّل الأجنبي معًا، والتخلّص من طبقة الأغنياء التي أثّرت على حساب المعدمين الفقراء، فكانت كتاباته تحمل في طياتها نزعة سياسيّة واجتماعيّة؛ ولذلك وجدت اعتراضًا عند قطاع عريض من الفلاّحين شاركوا بأنفسهم في أحداث الثورة العرابيّة.

الأدب وأحداث الثورة العرابيّة

فيما يتعلّق بالبارودي فقد جسّد لنا الأدب مواقفه أثناء فترة الثورة، وبعد أن نجحت حركة الضباط في خلع عثمان رفقي الشركسي ناظر الحربيّة وتولية البارودي بدلاً منه؛ وقعت عدّة مخاصمات بين الخديوي والضباط العرابيّين، كان أشهرها حادثة مقتل جندي مصري من فرقة المدفعية بالإسكندريّة في ٢٥ يوليه ١٨٨١م، وعقب اعتراض زملائه من الجنود على الحادثة مقتحمين قصر الخديوي بالإسكندريّة، حاملين زميلهم الجندي المقتول؛ استاء الخديوي من مسلكهم وحكم عليهم بالنفي إلى السودان، فقدم عبد العال حلمي تقريرًا رفعه للبارودي معترضًا على قسوة الأحكام في حق الجنود؛ ولمّا قدّم البارودي التقرير للخديوي حدث بينهما شقاق اعتزم على إثره البارودي أن يقدّم استقالته من نظارة الحربية[٣].

---

١. دور القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابيّة، م. س، ص١٤٢-١٤٣.

٢. م. ن، ص١٦٨.

٣. الثورة العرابيّة والاحتلال الإنجليزي، م. س ص١١٤.

هذا وقد ذكر البارودي استقالته من وزارة الحربيّة في الأبيات التالية:[١] :

ما لي بودك بعد اليوم إلمام — فاذهب فأنت لئيم العهد نمّام
قد كنت أحسبني أدركت مأربة — من المنى فإذا ما خلَت أحلام
هيهات مني الرضى من بعد تجربة — إنّ المودّة بين الناس أقسام
فاطلب لنفسك غيري إنني رجل — يأبى لي الغدر أحوال وأعمام
ظننت خيرًا ولم أدرك عواقبه — فكان شرًا وبعض الظن آثام
وكيف يصلح أمر الناس في بلد — حكامه لبنات اللهو خدام

وهنا نجد البارودي يتشدّد في توجيه النقد للخديوي توفيق، ويذكره بأنّه لئيم ونمّام، وذكر أنّه ظنّ معرفته به جيّدًا، ولكنه كان مخطئًا. وذكر صراحةً أنه يرفض الغدر والخيانة، وطلب منه أن يعين غيره لأنّه متمسّك بمواقفه الوطنيّة، ولا يتخلّى عن أصدقائه وأعوانه وزملائه في الخدمة العسكرية، ولا يبيع قضيّة وطنه، وأكّد أنّ بعض الظنّ أثم وشر، وأكّد أنّ حال البلد لا يصلح طالما كان حاكمها منشغلاً باللهو والترف والملذّات.

وعقب ذلك تسارعت الأحداث، وفي ٩ سبتمبر ١٨٨١م سقطت وزارة رياض باشا، وجاءت وزارة شريف باشا وعاد البارودي بها وزيرًا للحربيّة. وحدث الصدام الشهير بين شريف باشا والعرابيّين بسبب مناقشة الميزانيّة عقب إرسال المذكرة المشتركة الأولى؛ كنتيجة مباشرة لافتتاح المجلس النيابي، ولعب البارودي الدور الأكبر في الوقوف في وجه شريف باشا، وسقطت وزارة شريف باشا، وتم تكليف البارودي بتشكيل الوزارة، والتي كان أحمد عرابي بها وزيرًا للحربيّة، وجعلته الأحداث يرتقي الصدارة، ولكن طبيعته الشاعريّة جعلت أضعف من أن يقف موقف الصلابة السياسيّة، وتتغير مواقفه عقب ذلك[٢].

وعقب المذكرة المشتركة الثانية قدم البارودي استقالته من رئاسة الوزراء، بينما تشكّلت وزارة جديدة وظلّ عرابي بها وزيرًا للحربيّة، ثمّ تطوّرت الأحداث وانتهى الأمر بالاحتلال

١. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص٢٥٤.

٢. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص١٣٤.

الإنجليزي لمصر في سبتمبر ١٨٨٢م، ومثل البارودي للمحاكمة، وتمّ اتّهامه بارتداء الملابس العسكريّة دون إذن عقب دخول الإنجليز للإسكندريّة، واتّهامه بالمشاركة مع العرابيّين بالسعي لإقالة الخديوي أو قتله، وأن محمّد عبيد عرض قتل الخديوي بتحريض من عبد الله النديم، وأنّه -أي البارودي- لم يبد اعتراضًا على هذا الأمر، ورفض البارودي هذه الاتّهامات، وتمّ إيداعه السجن[١].

وفي السجن ذكر البارودي الأبيات التالية[٢]:

شفني وجدي وأبلاني السهر ... وتغشتني سمادير الكدر
فسواد الليل ما إن ينقضي ... وبياض الصبح ما إن ينتظر
لا أنيس يسمع الشكوى ولا ... خبر يأتي ولا طيف يمر
بين حيطان وباب موصدٍ ... كلّما حركه السجان صر
يتمشى دونه حتى إذا ... لحقته نبأة مني استقر
كلّما درت لأقضي حاجة ... قالت الظلمة مهلًا لا تدر
أتقرّي الشيء أبغيه فلا ... أجد الشيء ولا نفسي تقر
ظلمة ما إن بها من كوكب ... غير أنفاس ترامى بالشرر
فاصبري يا نفس حتى تظفري ... إن حسن الصبر مفتاح الظفر
هي أنفاس تقضى والفتى ... حيثما كان أسير للقدر

وهنا البارودي يشكو وحشة السجن وظلمته، حيث لا أنيس ولا جليس له، حتى أنه يسعد كلما يسمع السجّان يفتح باب زنزانته الانفراديّة، لأنّه يقطع عليه وحدته، وينهي عنه ظلمته قليلًا، ويبحث عن الأشياء فلا يجدها، ويهون على نفسه ذلك السجن الموحش، فليس له إلّا الصبر كي يظفر بالنجاة.

وعندما ذكر أمر الضبّاط الذين خانوا عرابي وانضموا للإنجليز وكانوا من أسباب

١. حكاية محمود سامي البارودي شاعر الثورة العرابيّة، م. س، ص٥١-٥٢.

٢. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص١٣٤.

هزيمته في التل الكبير[١]، تلك المعركة التي كانت السبب الرئيس في احتلال إنجلترا لمصر أنشد البارودي في حقهم الآتي[٢]:

لأي خليل في الزمان أرافق ... وأكثر من لاقيت حبّ منافق
بلوت بني الدنيا فلم أر صادقًا ... فأين لعمري الأكرمون الأصادق
وما كل من حدّ الرويّة حازم ... ولا كل من رام السوية فارق
أضعت زماني بين قوم لو أن لي ... بهم غيرهم ما أرهقتني البوائق
فأعلمهم عند الخصومة جاهل ... وأتقاهم عند العفافة فاسق
وأخلاق صبيان إذا ما بلوتهم ... علمت بأن الجهل بين الناس نافق
دعوني إلى الجلى فقمت مبادرًا ... وإني إلى أمثال تلك لسابق
فلما استمرّ الجد ساقوا حمولهم ... إلى حيث لم يبلغه حادٍ وسائق
فلا رحم الله امرءًا باع دينه ... بدنيا سواه وهو للحق رامق

ويشرح البارودي هنا حال الخيانة التي لقيها عرابي من بعض الضباط في معركة التل الكبير، ويصفهم بأنّهم صبيان وينعتهم بالجهل والنفاق، حيث اتّصل الخديوي وسلطان باشا بضابط يُدعى على يوسف، ووعده بالنياشين؛ فكانت خطط الجيش السرّية تُرسل عن طريقه، كما كانت أعداد وقوات وتحركات عرابي معروفة للإنجليز وللخديوي، وفي الليلة التي حدث فيها الهجوم كتب علي يوسف لعرابي بعدم رصد تحرّكات للعدو، واستيقظت القوات عند الفجر على صوت مدافع الإنجليز في معركة لم تستغرق سوى عشرين دقيقة، معركة كان بطلها الأوّل الغدر والخيانة[٣].

وفيما يخصّ موقف محمّد عبده وعبد الله النديم من أحداث الثورة، فقد كان محمّد

---

١. التل الكبير: إحدى القرى القديمة التي كانت تبعيّتها لمركز الزقازيق بالشرقية، وعُرفت بهذا الاسم؛ لوقوعها فوق التلّ المخلف عن أطلال مدينة بيتوم المصريّة القديمة، وفي سنة ١٩٤٠م انتقلت تبعيتها لمركز أبو حماد لقربها منه. انظر: رمزي، محمّد، القاموس الجغرافي، ج١، ص٦٦. والآن هي تابعة لمحافظة الإسماعيلية.

٢. م. ن، ص٢٠٠.

٣. وقائع الثورة العرابيّة دراسة وثائقية، م. س، ص١١٠.

عبده معتدلاً أوّل الأمر، وعينته وزارة شريف باشا رئيسًا لقلم المطبوعات العربيّة والتركيّة، وعقب سقوط وزارة شريف وتولية البارودي وتأليف الدستور في ٧ فبراير ١٨٨٢م. كان محمّد عبده من الخطباء الذين خطبوا في الاحتفالات العامّة بجانب، عبد الله النديم وإبراهيم اللقاني وأديب إسحق -جميعم تلاميذ جمال الدين الأفغاني- عطفًا على فتحي زغلول تلميذ محمّد عبده[١].

ولما أصبحت البلاد على شفا حرب، وتم التمهيد للاحتلال الإنجليزي لمصر من خلال تدبير مذبحة الإسكندريّة في يونية ١٨٨٢م ذهب محمّد عبده إلى أن:

«الحكومة الإنجليزيّة على عادتها في اختلاق العلل وارتجال المساءات قلّبت وجوه المسائل، واستدبرت طالع الحق، واستقبلت وجه مطمعها، واتخذت مجرد التغيير في بعض نظامات الحكومة الخديويّة سببًا للمناوأة، واندفعت لتسيير مراكبها إلى مياه الإسكندريّة تهديدًا لحكومة الخديوي وعدوانًا عليه، ثم نفخ بعض رجالها في أنوف ضعفة العقول من الأجانب المقيمين بالثغر، حتى أوقدوا فتنة هلك فيها المساكين، قضاء لشهوة إنجليزيّة، وأقامت منها حكومة إنكلترا حجة في العدوان على الأراضي الخديوية، ولو أنّ بصيراً نظر إلى أحوال القطر المصري بعين صحيحة من مرض الغرض لعلم أن بداءة الخلل في ذلك القطر من يوم ورود المراكب الإنكليزية لثغر الإسكندريّة، ولا نسبة بين ما كان قبل ذلك من عموم الأمن ورواج الأعمال وانتظام المصالح، وبين ما كان بعده»[٢].

وبالتالي فقد وجّه محمّد عبده اتهامه للحكومة الإنجليزيّة بالسعي لاحتلال مصر، وتدبيرها تلك المذبحة التي راح ضحيّتها العشرات من المصريّين والأجانب تمهيدًا لاحتلال مصر، وأنّ الأحوال داخل الأراضي المصريّة أصبحت غير مستقرّة منذ مجيء السفن الإنجليزيّة محاصرة لشواطئ الإسكندريّة.

واستطاع محمّد عبده عن طريق مقالاته في الوقائع المصريّة إلهاب الثورة عن طريق

---

١. الإمام محمّد عبده، م. س، ص٣٤.

٢. الثورة العرابيّة والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٧٨.

نشره لخيانات أعداء الثورة، وتمجيده للقائمين عليها ومشجّعيها، كما حثّ على الجهاد والتطوّع والتبرّع من أجل مصر، وكان دائمًا يستشهد بالكتاب والسنّة، واستطاع بفضل كتاباته أن يفتح عقول الأمّة ويوجّهها نحو طلب الحرّيّة والإصلاح[١].

وعقب ضرب الإنجليز للإسكندريّة أصدر الخديوي أوامره لعرابي بالحضور للإسكندريّة في ١٧ يوليه ١٨٨٢م، ولما رفض عرابي تنفيذ أوامره قام بعزله من منصبه كوزير للحربية؛ فدعا عرابي إلى تشكيل جمعية عمومية حضرها خمسمئة من الأمراء والعلماء والأعيان فيهم شيخ الأزهر وقاضي القضاة والمفتي وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود ومحمود سامي البارودي، ثمّ تليت عليهم المنشورات الصادرة من الخديوي، وتلا محمّد عبده المنشورات الصادرة من عرابي، ثم تُليت فتوى شرعية من الشيخ محمّد عليش والشيخ حسن العدوي والشيخ محمّد أبو العلا الخلفاوي بمروق الخديوي لانحيازه إلى الإنجليز[٢].

وقرّرت الجمعيّة العموميّة عدم عزل عرابي من منصبه، ووجوب توقيف الخديوي توفيق لخروجه عن الشرع الحنيف، ثمّ وضع الشيخ محمّد عبده صيغة يمين تقاسمها بين يديه الضبّاط للدفاع عن الوطن، كما قاد الدعوة للتطوّع في الجيش بالنفس أو المال أو الرجال. وعقب هزيمة عرابي في التل الكبير ودخول الإنجليز القاهرة تمّ تقديم محمّد عبده للمحاكمة؛ فقدّم مذكّرة ذهب فيها إلى التأكيد على أن جهادهم كان جهادًا دينيًّا وطنيًّا ضمّ رجالاً من جميع الفئات والأجناس: مسلمون ومسيحيّون ويهود، بذلوا كلّ ما يملكون؛ لإيمانهم أنّها حرب بين المصريين والإنجليز، واتّهم الخديوي وعمر باشا لطفي محافظ الإسكندريّة بتدبير الفتنة. وقد أنشد وهو في سجنه قائلاً: مجدي بمجد بلادي كنت أطلبه وشيمة الحر تأبى خفض أهليه[٣].

---

١. في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، م. س، ص٥٢.

٢. الإمام محمّد عبده، م. س، ص٣٥. هذا وقد ذكر أحمد عبد الرحيم مصطفى أن من حضر هذا الاجتماع الوطني بلغ عددهم ٤٠٠ شخص. انظر: مصر والمسألة المصريّة (١٨٧٦-١٨٨٢م)، م. س، ص٢٨٠.

٣. مصر والمسألة المصريّة (١٨٧٦-١٨٨٢م)، م. س، ص٣٥-٣٦.

ولم تقتصر جهود محمّد عبده على مقامه في مصر؛ إذ استمرّ نضاله وهو خارج البلاد، فبعد نفيه إلى بيروت أقام بها عامًا، ثم لحق بأستاذه جمال الدين الأفغاني في باريس، وقاما بإنشاء جريدة العروة الوثقى، والتي كانت تصدر من باريس، وكان يدير سياستها جمال الدين الأفغاني، ورئيس تحريرها محمّد عبده، وصدر العدد الأول منها في ١٣ مارس ١٨٨٤م[١].

أمّا عبد الله النديم، فقد استمرّت مواقفه مع الثورة، واستمرّت النداءات التي أثارت الحميّة الدينيّة والوطنيّة، من خلال كتاباته في مجلّة الطائف التي كانت الناطقة باسم العرابيّين، وتلبية لنداءاته المتكرّرة هبّ المتطوّعون ينضمّون لجيش أحمد عرابي، فبعد أن كان الفلاّحون يهربون من الجيش تطوّعوا بأنفسهم للذود عن البلاد، ومنهم من قدّم التبرعات المالية -وخاصّة أعيان الريف- في وقت وجد فيه عرابي خزانة البلاد خاوية بعد أن أُخذت الأموال للأسطول الإنجليزي[٢].

وقد وضع النديم ثقله المتّقد وحماسته البالغة في الموضوعات التي كتبها على صفحات جريدته، ففي وصفه لمعارك العرابيين ذهب إلى الآتي:

«هجوم ليوث الوغى على أرانب الإنسانية وصيحاتهم تتعالى يا ثأر الإسكندريّة، يا مجد عرابي، يا شرف الوطن... نقاتل لنحيا حياة طيبة لا ذلّ فيها، أو نموت عن شهادة فنحيا حياة أخروية نرزق فيها عند الله»[٣].

وكانت مبالغته واضحة من حيث انتصار المصريّين أو هزيمة الأعداء، وتجلّى ذلك من خلال كتاباته في الصحيفة؛ إلاّ أنّ ذلك كان له أبعد الأثر في تشجيع المحاربين، كما خصّص على صفحاته أبوابًا للهجوم على أعداء الثورة، وعلى رأسهم الخديوي توفيق وأعوانه، ونعت سليم وبشارة تقلا بأنهم أعوان لتوفيق، وكثّف جهوده للهجوم على

---

١. محمّد عبده، م. س، ص١٣٢.

٢. دور القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابيّة، م. س، ص١٧٢-١٧٣.

٣. في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، م. س، ص٥٦.

الإنجليز ليحوّل الحرب إلى حرب صليبيّة؛ فشاع هذا الشعور عند المواطنيين؛ لذلك أقبلوا في حماس عارم يقدّمون التبرّعات المالية أثناء الحرب، فنجح النديم من خلال صحافته في التحميس والتشجيع للثورة[١].

الأدب وتغير الفكر السياسي بعد الثورة العرابيّة

إذا كان الأدب من العوامل التي شرحت الأحداث فيما قبل الثورة العرابيّة، وكان من العوامل الرئيسيّة لاندلاعها؛ فإنّه في الوقت نفسه يرصد مواقف من قاموا بها، ومن حرّضوا عليها، ومن أشعلوها، وعلى رأسهم أحمد عرابي نفسه، فهل بقيت مواقف الأفراد صانعي الأحداث والمشاركين فيها على نفس المنوال؟ أم أنّ أمورًا أخرى غيرت المواقف السياسيّة؟

فيما يخصّ البارودي، فإنّ أبيات شعره توضح موقفه عقب الثورة العرابيّة بفترة؛ حيث تمّ نفيه إلى جزيرة سيلان[٢] رفقة العرابيين، ومكث بها سبعة عشر عامًا، ثمّ عاد مستردًّا أملاكه ومكانته ولقبه كأحد الباشوات العظام[٣]. وكان لإصابته بالعمى أثر كبير في عودته، وعقب عودة عرابي من المنفى التقاه مرة واحدة فقط، ولم يقابله مرة أخرى حتى توفي في نهاية عام ١٩٠٤م[٤].

وقد عبرّت قصائده عن اتجاهاته السياسيّة عقب العودة من المنفى؛ فنجده يمدح عباس حلمي الثاني عقب عودته من سيلان قائلاً[٥]:

---

١. م. ن.

٢. سيلان: سريلانكا حاليًّا، وهي عبارة عن جزيرة تقع في المحيط الهندي على بعد ٣٢ كم من الساحل الجنوبي الشرقي للهند، وتبلغ مساحتها ٦٥،٦١٠ كيلو متر مربع، وقُدر عدد سكانها مطلع القرن العشرين بحوالي ربع مليون نسمة، وعاصمتها هي؛ مولومبو، ونشاطها الاقتصادي الرئيس قائمًا على الزراعة، وأهم محاصيلها هي: جوز الهند والأرز والمطّاط والشاي. انظر: أحمد، مصطفى أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان: الموسوعة الجغرافية، ج١، ص٤١.

٣. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص١٣٨.

٤. حكاية محمود سامي البارودي شاعر الثورة العرابيّة، م. س، ص٩٤.

٥. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص٢١٨-٢١٩.

فـخـيرك مـأمـول وفـضـلـك واسـع ... وظلّـك ممـدود وعدلـك شـامل
إليك تناهى المجد حتى لـو أنه ... أراد مزيـدًا لم يجـد مـا يحـاول
وأيّ صنيع بعد فضلك يُرتجى ... وأنـت مليـك في البريـة عـادل
فـيـا طـالـبًـا مـسـعـاتـه لينالها ... رويـدك إنّ الحـرص للنفـس خاذل
هو الملك المكفول بالنصر جنده ... إذا احمـرّ بـأس أو تنمّـر باطـل
بـك اخـضرّت الآمـال بعد ذبولها ... وحقّـت وعـود الظـن وهـي مخايل
بسطت يـدًا في الـخير فينا كريمة ... هي الغيث أو في الغيث منها شمائل

وفي الأبيات السابقة شكر وامتنان من البارودي للخديوي عباس حلمي الثاني الذي عفا عنه، وسمح له بالعودة إلى مصر بعد أن كان يظن أنه لن يلتقي بأهله مرة أخرى، خاصة وقد فقد زوجته أثناء منفاه في سيلان، ورغم ما في الأبيات من مبالغات في حقّ عباس حلمي الثاني، إلّا أنّ الفرحة التي عاشها البارودي بعودته لوطنه مرّة أخرى كانت هي الدافع وراء تلك المبالغة.

ورغم أنّ عباس حلمي الثاني استهلّ حكمه بالعفو عن بعض مسجوني الثورة العرابيّة، إلّا أن الفترة التي عاد فيها البارودي من منفاه شهدت خصامًا وجفاءً بين الخديوي وبين الوطنيّين؛ لذلك كانت كتابات البارودي فيها مبالغة.

وفي مناسبة جلوس عباس حلمي الثاني على العرش أنشد قائلاً[١]:

لمثل ذا الـيـوم كـان الملك ينتظر ... فاسـعد بهـا دولـة عنوانهـا الظفـر
تهلّلت مصر بعد اليأس وابتهجت ... بـك الرعيـة حتـى عمّهـا الحـبر
نـالـت بـنـصرك مـا كـنـت تؤمله ... لا زلـت للملـك والإسـلام تنتـصر
فالعدل منبسط والـجـور منقبض ... والأمـن منسـدل والخـوف منشـمر
فالناس من طرب في نشوة أخذت ... بهـم فمالـوا كأن القـوم قـد سـكروا
فـلا شـقـاء ولا بـأس ولا فـزع ... ولا عـداء ولا غـدر ولا حـذر

١. ديوان محمود سامي البارودي، م. س، ص١٢٢.

عـيـد تـهـلّـلـت الـدنـيـا بـه فـرحًـا ونعمـة ليـس يقـضي حقّهـا البـشر
وكيف لا تفخر الدنيا بطلعة من لـولاه لم يبـق فيهـا لامـرئٍ وطـر
فاستبشروا يا بني الأوطـان إن لكم مـن عدلـه جنـة يجـري بهـا نهـر

ويتّضح من الأبيات حجم المبالغات التي ذكرها البارودي في حق عباس حلمي الثاني، وإن عكست هذه الأبيات شيئًا؛ فإنها تبيّن المسلك الذي صار عليه البارودي بعد عودته إلى مصر حتى وفاته، فبعد أن كان أحد الداعين للثورة على إسماعيل، ومن بعده توفيق، وكان من المشاركين في الثورة العرابيّة وعُوقب بالسجن والنفي؛ جزاءً لمقاومته للاحتلال، ولمحاولته منع وقوع مصر في براثن الاستعمار، لكن تغيرت حالته السياسيّة عقب عودته وصار في ركاب الحاكم؛ وبخاصة أنه هو من أعاده من منفاه.

ولم يكن البارودي وحده من تغيّرت مواقفه السياسيّة؛ فالشيخ محمّد عبده أيضًا عقب عودته من منفاه تغيّرت طريقته السياسيّة وصار أكثر اعتدالًا؛ حيث كانت عودته برضى من الخديوي، وربما بتدخل الأميرة نازلي، أو الغازي مختار باشا وكيل السلطان، وربما شفاعة الإنجليز وتدخّل كرومر[١].

هذا وقد شهد عهد توفيق حالات إعفاء كثيرة عن أفراد شاركوا في الثورة العرابيّة، فكان بديهيًّا أن تتغيّر مواقف هؤلاء الأفراد عندما يصدر قرار العفو عنهم من الحاكم، فلن يقف معظمهم في خندق المعارضة[٢].

أمّا الشيخ محمّد عبده فلم يقف على المبدأ الذي نادى به أحمد عرابي، وتبنّاه من بعده عبد الله النديم؛ والذي يتمثّل في ضرورة رحيل الاحتلال، بل تبنّى الإصلاح العقائدي في الدين ومناهج التعليم، وعمل على مسالمة الخديوي ما استطاع والاستعانة بالإنجليز

١. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص١٤٥.

٢. فمثلًا: في ١٢ ديسمبر ١٨٨٥م؛ صدر قرار بالعفو عن وكيل مديرية إسنا ومجموعة من الضباط الذين تمّ اتّهامهم في أحداث الثورة العرابيّة بجريمة العصيان، مع إعادة رواتبهم ونياشينهم وامتيازاتهم وعدم حرمانهم من الاستيداع، وفي ١٤ ديسمبر ١٨٨٥م؛ صدر قرار خديوي بالعفو عن أفراد من أسيوط وجرجا والمنيا وبني سويف والفيوم. انظر: دار الوثائق القومية: محافظ القوانين، الأوامر والديكريتات، ص٢٧٢-٢٧٤.

فيما ينوي من إصلاح[١]. وقد عبرّ محمّد عبده سابقًا عن أسباب اشتراكه في الثورة العرابيّة؛ حيث ذهب إلى أنّ المشاركين فيها كانوا يتطلّعون إلى تحويل مصر إلى جمهوريّة صغيرة شبيهة بسويسرا[٢].

وعقب عودته إلى مصر انقطعت الصلة بين محمّد عبده وجمال الدين الأفغاني، وتمركزت أفكاره على الإصلاح من خلال التعليم، ونادى بإنشاء ملكية دستورية في مصر شبيه بإنجلترا؛ إذ آمن بحاجة الشرق إلى المستبد العادل، ونجده في سنة ١٨٩٦م ينكر على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ادّعاءه الخلافة، وهاجم البرجوازيّة الشرقيّة، ونادى بالتوزيع العادل للثروة، ونادى برفض فكرة الماضي والعودة للمجد التاريخي، ولا يتعارض ذلك مع منهج التجديد[٣].

وكان محمّد علي مقرّبًا من كرومر، وبفضل تلك الصلة وصل محمّد عبده لمنصب مفتي الديار المصريّة سنة ١٨٩٩م، وقد بدأ تأثيره يمتدّ للطبقة الوسطى وأعيان الريف المتعلّمين والمثقّفين، وتأثّر بآرائه وأفكاره: مصطفى كامل ومحمّد فريد وجماعة المحدثين بزعامة أحمد لطفي السيِّد، ويعتبر بالنسبة لهم جميعًا الرائد في مجال التطوير المعتدل[٤].

وعقب وفاته في سنة ١٩٠٥م قام أحمد شوقي برثاء محمّد عبده في أبيات قال فيها[٥]:

مفسر آي الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت، مصير العالمين كما ترى وكل هناءٍ أو عزاءٍ إلى فوت
هو الدهر: ميلاد، فشغل، فمأتم فذكركما أبقى الصدى ذاهب الصوت

أمّا فيما يتعلّق بموقف عبد الله النديم؛ فقد ثبت على مواقفه من الاحتلال، وظلّ مختبئًا بعد الحكم على العرابيين لمدّة تسع سنوات، وأصدرت الحكومة عليه حكمًا

١. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي (١٧٥٠-١٩٦١م)، م. س، ص١٤٨.
٢. مصر والمسألة المصريّة (١٨٧٦-١٨٨٢م)، م. س، ص١٩٢.
٣. نهضة مصر تكون الفكر والأيديولوجية في نهضة مصر الوطنيّة (١٨٠٥-١٨٩٢م)، م. س، ص٤٢٢-٤٢٧.
٤. م.ن، (١٨٠٥-١٨٩٢م)، م. س، ص٤٣٢.
٥. شوقي، أحمد، ديوان أحمد شوقي، ج٢، ص٤١.

بالنفي المؤبّد من القطر المصري؛ حتى تم القبض عليه في قرية الجميزة[١] بجوار طنطا[٢]، واكتفى رياض بنفيه إلى يافا، حيث أقام ستة أشهر، ثم عاد إلى مصر ثانية بعد أن سمح له الخديوي عباس حلمي الثاني بدخول البلاد. وأنشأ النديم جريدة الأستاذ، وتسترّ وراء الدفاع عن مصالح الخديوي؛ ولكنه نفذ إلى الميدان السياسي من خلال هذا الباب، وقام بمهاجمة الاحتلال الإنجليزي، وظل هجومه يزداد على كل انحراف عن الحركة الوطنيّة، ودافع بجسارة عن الثورة العرابيّة، وبيّن صدق نيتها من خلال مقابلته مع مصطفى كامل[٣].

وانتقد عبد الله النديم سياسة الاحتلال الإنجليزي؛ مما دفع كرومر إلى المطالبة برحيله عن مصر، فعرض عليه الخديو الذهاب إلى يافا بحجّة الاستشفاء، ورتّبت له الحكومة راتبًا شهريًا قدره خمس وعشرون جنيهًا، ولكن لم يمكث في يافا طويلاً؛ حيث صدر أمر من السلطان العثماني بنفيه من الشام نتيجة وشاية، وتوسّط له مختار باشا وأشار على السلطان العثماني بالسماح له بالإقامة في الأستانة، ومكث بها صحبة السيد جمال الدين الأفغاني، ولم تدم حياته في الأستانة طويلاً، حيث مرض ومات بالسلّ فقيراً، في مقبرة مجهولة[٤].

وقد نعاه جمال الدين الأفغاني على قبره قائلاً:

«هذا الرجل عاش كأفضل ما يعيش الرجال على الأرض، وفي الناس من إذا مات انتهى ذكره، لكن من نقف على قبره كان أعجوبة عصره رحمه الله وأثابه؛ هو عبد الله

---

١. الجميزة: إحدى القرى القديمة بمركز السنطة بمحافظة الغربية، واسمها الأصلي؛ أبشيش، وهو اسم مصري قديم، أما الجميزة فهو اسمها العربي، ووردت به في تأريع سنة ١٨١٣م. انظر: رمزي، محمّد، القاموس الجغرافي، ج٢، ص٤.

٢. طنطا: إحدى القرى القديمة، وقاعدة محافظة الغربية منذ سنة ١٨٣٦م إلى الآن، وترجع تسميتها للاسم المصري القديم؛ طنتاتو، أو طنتات. ووردت في المصادر العربيّة باسم؛ طنطنة وطندتا وطنتنا. وعُرفت باسم طنطا منذ تأريع سنة ١٨١٣م. وترجع شهرة هذه المدينة؛ لوجود قبر السيد أحمد البدوي، والذي تُوفيّ ودُفن بها سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦-١٢٧٧م). وفي سنة ١٨٩٠م تمّ فصل بندر طنطا عن مركز طنطا، ثمّ تمّ تقسيم بندر طنطا لقسمين في سنة ١٩١٢م. انظر: القاموس الجغرافي، م. س، ص١٠٢-١٠٣.

٣. بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي، م. س، ص٩٧.

٤. م.ن، ص١٠٠-١٠١.

النديم، مصري عريق في مصريته، كان صاحب مبدأ باع نفسه لأمته ومات شهيدها فانيًا فيها، فلم يتحوّل عن عهده، ولكنه ظلّ يجاهد وينفى، فيجاهد وينفى ويعفى عنه، فيجاهد ويحذر فلا يحذر ويطمع فلا يطمع. وفي شعره لسان حاله»[١]:

إذا ما الدهر صافانا فرحنا فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا إذا زاد البلاء زدنا يقينًا

وذهب بعض إلى أنّ النديم مات مسمومًا في الأستانة؛ حيث وضع له السلطان العثماني السمّ في قهوة بسبب تأليفه لبيتين من الشعر ذكر فيهما[٢]:

هي الخلافة أرجوها وترجوني فقد تربّع فيها من همُ دوني
ياغوث... يا جد... قد آن الآوان لنا فأين وعدكما في (خان شيخون)؟

وأيًّا كان سبب وفاته؛ سواء السل أو السم، فلا خلاف أن عبد الله النديم يعدّ من أهم العناصر التي شاركت في الثورة العرابيّة، وكان السبب الرئيس في تحريك الجماهير وقام بدور التعبئة الشعبية اللازمة التي احتاجها عرابي، وأسهم في توفير الدعم المادّي للعرابيّين جراء الأزمة، وعقب هزيمة العرابيين وانتهاء الثورة ظل على نضاله الثوري مختبئًا تسع سنوات، ثم منفيًّا خارج مصر لأكثر من مرّة، ولم تغيّره الظروف ولا حادثة الحوادث، ظلّ ثابتًا على المبدأ، ولم تُفتح عليه الدنيا فيغيّر مواقفه السياسيّة كما فعل البارودي ومحمّد عبده.

أمّا أحمد عرابي نفسه، فقد نالته أصابع الاتهام عقب عودته من المنفى، واستقبله أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدته المشهورة التي جاء فيها[٣]:

صغار في الذهاب وفي الإياب هذا كل شأنك يا عرابي
عفا عنك الأباعد والأداني فمن يعفو عن الوطن المصاب؟

---

١. م.ن، ص١٠٠-١٠١.

٢. من الأعلام خطيب الثورة العرابيّة ورفيق النضال فيها السيد عبد الله النديم، م. س، ص١٠٨.

3. https://www.aldiwan.net/poem7585.html

وقال أيضًا[1]:

أهـلًا وسهلًا بحاميها وفاديها ومرحبًا وسلامًا يا عرابيها
وبالكرامة يا من راح يفضحها ومقدم الخير يا من جاء يخزيها
وعد لها حين لا تُغْنى مدافعها عن الزعيم ولا تُجدى طوابيها

وذهب الدكتور عاصم الدسوقي إلى أنّ هجوم شوقي على عرابي مرجعه إلى أنّ أحمد شوقي من أصول تركيّة، وكان على صلة بالقصر الحاكم، وكان ماقتًا للثورة العرابيّة منذ البداية بفضل نزعته التركية[2]. أمّا عرابي فعودته إلى مصر عام ١٩٠١م بأمر من سلطات الاحتلال كانت سببًا في أن يداهنها، وبمجرد عودته إلى مصر شكر لإنجلترا صنيعها، وجهودها في النهوض بالزراعة والري، مع إبطال الكرباج ورفع الظلم، وذكر أن الإصلاح الذي كان يتمنّى أن يتحقّق على يديه؛ تحقق بجهود الإنجليز، فكان ذلك من الأسباب التي أثارت سخط الناس عليه، واعتبروه تغيراً واضحًا في مواقفه. وظلّ طوال السنوات العشر المتبقية من عمره مهادنًا الاحتلال حتى توفي في ٢١ سبتمبر ١٩١١م[3].

1. https://qaseda.com/ahmedshawqi/%D8%B5%D8%BA%D8%A7%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%A7%D8%A8/

2. https://www.youm7.com/story/201720/10//%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88-%D8%A3%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D8%B0-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%B4%D9%88%D9%82%D9%89-%D9%83%D8%A7%D9%86-%D8%B6%D8%AF-%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D9%89-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%B9%D9%8A%D9%85-%D9%82%D8%A7%D9%3471836/84

٣. الثورة العرابيّة والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٤٤٦.

خاتمة

الأدب كأحد المصادر غير التقليديّة كان من العوامل المحرّكة للأحداث التي أدّت إلى اندلاع الثورة العرابيّة، وكان وسيلة فهم العلاقات بين الأفراد، والتطوّر الذي طرأ على السياسات التي اعتنقها المشاركون في تلك الثورة، حيث تغيّرت مواقف كثير من المشاركين في صناعة الحدث عمّا كانت عليه بعد سنوات طويلة من وقوعه، وكانت كتاباتهم وأشعارهم وخطبهم دليلاً على ذلك.

فكانت كتابات البارودي وأشعاره ودعوته المبكرة للثورة، ونقده اللاذع لحكم إسماعيل، ثمّ توفيق من بعده، وعثمان رفقي الشركسي ورياض باشا رئيس الوزراء، كل ذلك كان من العوامل التي ساعدت على تفجير الثورة، وعبرت عما يجول في خلجات العسكريين والمدنيين على السواء.

كذلك خطب ومقالات محمّد عبده وعبد الله النديم، بما امتلكاه من موهبة فطرية في الوعظ الديني، وما تعلماه في مدرسة جمال الدين الأفغاني؛ كان له أكبر الأثر في قيادتهم للحركة الثوريّة، وتبوأهم الدور القيادي في إثارة وتحريك الجماهير، وحشدهم والمساهمة في إدارة دفة الأحداث.

لكن عقب الثورة، وبعدما تشدّدت إنجلترا في مواجهة الوطنيّين ونفت أعضاء الثورة العرابيّة؛ تعرض البارودي ومحمّد عبده للنفي خارج البلاد، بينما ظل النديم مختبئًا عدة سنوات، وبعد القبض عليه تم نفيه، ثم عاد، ثم نفي مرة أخرى حتى مات ودفن خارج البلاد.

وإن كان البارودي ومحمّد عبده قد غيّرا مواقفيهما وأصبحا أكثر اعتدالاً، وعادت لهما أملاكهما وألقابهما، وترقّى محمّد عبده المناصب حتى تبوّأ منصب مفتي الديار المصريّة، ظلّ النديم على مواقفه لم تغيّره الحوادث ولا السنون، ظلّ يواجه البطش والقهر في كل مكان، وظلّ ثابتًا على المبدأ؛ حتى لقيَ ربّه في منفاه.

أمّا عرابي نفسه «حامي حمى الديار» فقد ناله النقد والطعن والتوبيخ بعد عودته، وظلّ حبيسًا في بيته، مقتصرًا على أقاربه وجيرانه، وكان لعودته تحت وطأة الاحتلال أكبر الأثر في أن يداهن الإنجليز، ويبالغ في المنجزات التي حقّقتها إنجلترا في مصر، وينعتها أنها أصبحت صديقة للمصريّين، كل ذلك جعل عرابي في موضع النقد والاتهام.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق

١. دار الوثائق القومية: محافظ الوقائع المصريّة، محفظة ٣، تحقيق شخصية.

٢. دار الوثائق القومية: محافظ القوانين، الأوامر والديكريتات، ديسمبر ١٨٨٥م.

الدوريّات

٣. الزراعة: الجزء الخامس والعشرون، ١٨ أكتوبر ١٨٩١م.

٤. اليوم السابع الإلكترونية، عدد الأحد، ٢٧ يونية ٢٠٢١م.

المصادر

٥. رمزي، محمّد، القاموس الجغرافي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٦. نظارة الداخلية: الكشاف للديار المصريّة وعدد نفوسها، الجزء الثاني من مؤلف التعداد العمومي لأهالي القطر المصري، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٨٤م.

المراجع العربيّة

١. بركات، علي، تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسيّة (١٨١٣م-١٩١٤م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٧م.

٢. تعيلب، أيمن، أسئلة الثورات العربيّة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٣. الجندي، عبد الحليم، الإمام محمّد عبده، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابيّة والاحتلال الإنجليزي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥. رمضان، صالح، الحياة الاجتماعيّة في مصر في عصر إسماعيل من (١٨٦٣-١٨٧٩م)، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٧٧م.

٦. سالم، لطيفة، في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٠م.

٧. سامي البارودي، محمود، ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م.

٨. شوقي، أحمد، ديوان أحمد شوقي، دار صادر، بيروت، د.ت.

٩. عاشور، نعمان، بطولات مصريّة من عمر مكرم إلى بيرم التونسي (١٧٥٠-١٩٦١م)، مطابع روزا اليوسف، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٠. عبد الرازق، عبد الله، النظم والنظريات السياسيّة والاقتصاديّة، مكتبة الإيمان، بني سويف، ٢٠٠٥م.

١١. عبد الرازق، مصطفى، محمّد عبده، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.

١٢. عبد الرحيم مصطفى، أحمد، الثورة العرابيّة، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م.

١٣. فتحي، عاطف، حكاية محمود سامي البارودي شاعر الثورة العرابيّة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م.

١٤. مصر والمسألة المصريّة (١٨٧٦م-١٨٨٢م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،٢٠١١م.

١٥. مصطفى أحمد أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان: الموسوعة الجغرافية، (الدول - الولايات -المقاطعات)، ط١، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٦. وحيده، صبحي، في أصول المسألة المصريّة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.

المراجع المُعرّبة

عبد الملك: أنور، نهضة مصر (تكون الفكر والأيديولوجية في نهضة مصر الوطنيّة) (١٨٠٥-١٨٩٢م)، ترجمة: حمادة إبراهيم، وجيه عبد المسيح، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

أبحاث منشورة

١. الجميعي، عبد المنعم، وقائع الثورة العرابيّة دراسة وثائقية، بحث منشور ضمن كتاب مئة عام على الثورة العرابيّة.

٢. شلبي، علي، دور القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابيّة، بحث منشور ضمن كتاب مئة عام على الثورة العرابيّة.
٣. عباس، رؤوف، المعارضة الوطنيّة وإرهاصات الثورة، بحث منشور ضمن كتاب مئة عام على الثورة العرابيّة، مركز الدراسات السياسيّة والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١م.

مقالات

عثمان ملحس، لطفي، من الأعلام خطيب الثورة العرابيّة ورفيق النضال فيها السيد عبد الله النديم - الخطيب - الأديب - الصحفي الساخر، رسالة المعلم، م١٣، ع ٣-٤، وزارة التربية والتعليم، عمان، ١٩٧٠م.

مواقع إلكترونيّة

https://www.aldiwan.net/poem7585.html-

https://qaseda.com/ahmed

https://www.youm٧.com